الجزء السابع

الوقاية من الأمراض الزهريه

obeikandl.com

obeikandl.com

بينت فى الفصول السابقة خطورة الأمراض الزهرية وتأثيرها المحزن على كيان الشاب ومستقبله وأوضحت عواقب جهـــله وانخداعه بسكونها الخائن وأخطار ذلك على زوجته وأولاده وأحفاده كما بينت خطرها الرهيب على المجتمع الانسانى والآن ننتقل إلى بحث كيفية اتقاء هذه الأمراض واجتناب أخطارها للفرد وللمجموع

طرق الوقاية : أربعة

(١) الوقاية الاجماعية بضبط تفشى العدوى واستئصال مصادرها

(٢) « الفردية بتحذير الشبان من طرق العدوى وطرق تفشيها

(٣) « النسبية والوراثية بحماية الزوجة والذرية

(٤) « الثقافية الاخلاقية بتلقين النشء التهذيب الجنسى

محاضرة ألقيت فى المؤتمر الطبى العربى الأول الذى عقد فى بغداد ٩ — ٣ فبراير سنة ١٩٣٨ موضوعها « الخطر الزهرى وكيفية القضاء عليه فى الشرق » ونشرتها المجلة الطبية المصرية فى عددها الثانى من مجلد السنة الثانية والعشرين ص ٧٠ — ٢٧

الفصل الأول

الوقاية الاجتماعية : تنحصر هذه فى أمرين

١ - جعل ناقل العدوى مسئولا عنها وعن الضرر الذى يلحقه بغيره

٢ - اكتشاف وتعقب المصابين وعلاجهم لاستئصال شأفة المرض

فالأمر الأول من الصعب الآن إن لم يكن من المستحيل تنفيذه نظراً لنقص القانون الجنائى بوضعه الحالى إذ لا ذكر فيه قط عن ضرر نقل الأمراض الزهرية وتحميل ناقلها المسئولية ونظراً لكون المجنى عليه مازال يفضل التستر ويخشى الفضيحة لذا يتحمل الضرر مكرها متكتما غير أنه مع ذلك توجد فئة كبيرة من المجنى عليهم على نقيض ذلك . فلحماية هؤلاء والمجتمع عامة يجب إما تعديل القانون الحالى للافاة النقص ، أو الارتكان على تطبيق بعض مواد القانون الجنائى . فهناك مادة تنص على معاقبة كل شخص سبّب بمحض ارادته لغيره جروحاً أو ضرراً أو تعد ما وتزيد العقوبة إذا كان هناك سبق تعمد أو سوء نية . والعدوى الزهرية من شخص يعرف نفسه مريضاً لا شك تدخل تحت هذه المادة وإذا ثبتت سوء النية فتعتبر جنحة يعاقب عليها بغرامة أو السجن علاوة عن تعويض مدنى وفيما يختص بالزواج فوجود المرض ونقله للزوجة بعد جنحة خطيرة تبرر طلب الطلاق مع التعويض المدنى ولا شك أن فى تطبيق هذه المواد على الأمراض الزهرية من شأنه على الأقل إدخال مبدأ

المسئولية الجنسية فى نفوس المصابين وحافزاً على علاج مرضهم وفى ذلك وقاية للأبرياء . ثم ان الشكوى تؤدى فى بعض حالات معينة خدمات قيمة لأولياء الأمر قد تساعدهم على الاهتداء إلى عناصر معينة وعلى إنزال أشد العقوبة بالأشخاص الذين يتضح أنهم متهمون بجنحة تكرار نقل العدوى

الأمر الثانى ـ باكتشاف وتعقب المصابين أنفسهم نساءاً ورجالا كباراً وصغاراً وعلاجهم ، فبعلاج الأفراد واستئصال منابع العدوى نكفل وقاية المجتمع واليوم أصبح علاج هذه الأمراض غير مؤلم وسهلا وشفاؤها أكيداً . فالواجب إذن حث كل مريض على أن يبادر إلى علاج المرض قبل تقدمه واستعصائه ، بيد أنه لسوء الحظ ما زالت الأمراض الزهرية معتبرة فى بلادنا أمراضاً معيبة يتحاشى الكثيرون معالجتها أو قد يتسترون حياء وخجلا والبعض يزيدون الطين بله باسامة علاجهم بأيديهم . فلذلك يقتضى الأسراع أولا فى تعليم الشبان والطبقات المتعلمة مضار هذا الإهمال وعواقبه الوخيمة . فمن طائفة المتعلمين نستمد المساعدة لتعليم الجهلاء وتحذير المتهورين وتخويف المهملين وإظهار المتسترين وتشجيع المتخوفين اليائسين من المصابين ليتقدموا للمعالجة دون وجل أو خوف إذ بعلاج كل فرد منهم وقاية المجتمع وباهمالهم أو جهلهم يجنون على أنفسهم وعلى المجموع لاسيما وأنه لم يعد لهم أى عذر ما فى هذا الوقت . إذ قد زاد عدد المستوصفات السرية المجانية التى شيدتها مصلحة الصحة لعلاج هذه الأمراض وقد فاض عدد الاكتشافات والتراكيب الرخيصة والغالية ، والقوية والخفيفة ، حتى صار فى مقدور كل

مصاب مهما كانت حالته المرضية والاجتماعية أن يتخلص من مرضه . فأصبح بذلك لاحجة لمتخوف ولاعذر لمتهرب. وليتسنى لنا علاج المصابين إجمالا رجالا ونساءاً وتشجيع كل مصاب مهما كان للمبادرة إلى العلاج لا بد من شرطين أساسيين :

الشرط الأول

تعميم المستوصفات السرية المجانية فى العواصم والبلدان الكبيرة الأخرى فى القطر ويكفى لذلك إنشاء مستوصفات صغيرة خارجية متعددة يديرها أطباء اخصائيون أكفاء تحتوى على معامل صغيرة دقيقة لتحليل الدم وفحص المكروب . ويعطى المريض كراسة صغيرة فيها نمرته وسنه وتاريخ موجز لمرضه ولا يذكر فيها اسمه ولا لقبه يحضرها المريض معه فى كل زيارة ويقدمها للطبيب المعالج يدوّن فيها ملاحظاته واجراءاته الوقتية وطريقة العلاج وموعد الزيارة المقبلة حتى إذا جاء طبيب جديد فى المستوصف أو اضطر المريض أن يذهب إلى مستوصف آخر فى نفس العاصمة أو فى بلدة أخرى خارجها أمكن للطبيب بنظرة واحدة على هذه الكراسة أن يعرف المرض وتاريخه وسيره وبذا يتمكن من مواصلة العلاج بسهولة . وإن لم يتيسر فى بادىء الأمر تعميم هذه المستوصفات فى جميع أنحاء القطر فيكتفى بالحاق بعضها ببعض المستشفيات فى العواصم والبلدان الكبيرة بحيث تسمح لكل مصاب فى القطر أن ينال قسطه من العلاج المجانى مع احترام سرية كل مريض . وللأسف لم يزد عدد هذه العيادات فى السنين الأخيرة زيادة محسوسة فعددها اليوم ٢٩ فقط مقابل ١٦ فى سنة ١٩٣٢ ل ١٧ مليون من السكان أى واحدة لكل ٦٢٠ الف نسمة !!!

الشرط الثانى : وجوب عمل دعاية شديدة لارشاد المرضى وتشجيعهم على التقدم للمعالجه إذ أن انشاء هذه المستوصفات وانتظار المصابين ليتقدموا اليها من تلقاء أنفسهم عبث لأنهم متخوفون مهملون متسترون يائسون فبدون الشرط الثانى لن تصل هذه المستوصفات إلى الهدف المنشود من إنشائها والدليل على ذلك أن إنشاء سلسلة مستوصفات فى مصر بلغ عددها ١٦ فى سنة ١٩٢٢ لم يقلل من عدد الضحايا فى القطر حسب تقرير وزير الصحة المرحوم شاهين باشا فى المؤتمر الدولى الأخير لمكافحة الخطر الزهرى الذى عقد فى مصر فى أبريل سنة ١٩٣٣ بقوله باللفظ الآتى « لا يمكن الجزم بأن إنشـــاء هذه المستوصفات قلل نسبة الأمراض الزهرية فى مصر » والسبب فى ذلك لا ريب يرجع إلى اهمال الشرط الثانى

والواقع أنى كنت أول من نادى بإنشاء هذه المستوصفات فى مصر بسلسلة مقالات فى جريدتى السياسة والمقطم سنة ١٩٢٤ و ١٩٢٥ حيث انتقدت المشروع الأصلى القاضى فى الشروع ببناء مستشفيات خاصة للأمراض السرية فى مصر فاقترحت يومئذ تعديل ذلك المشروع وبدلا من بناء مستشفيات خاصة تكلف دون شك مبالغ باهظة اقترحت أن يقتصر المشروع على انشاء مستوصفات بسيطة خارجية مجانية متعددة فى أنحاء القطر وأوضحت فى هذه المقالات شروط تأسيسها وكيفية إدارتها على المنوال المذكور أعلاه فى الشرط الأول . وقد أدليت برأيى وقتئذ فى أن مجرد إنشاء هذه العيادات وحـده مهما تزايد عددها فى المستقبل لن يأتى بالغرض المنشود مالم يكن مشفوعاً بدعاية واسعة النطاق لتشجيع المرضى على التقدم للمعالجة . وقد أوردت يومئذ فى مقطم ٦ أغسطس سنة ١٩٢٥

تحت عنوان « مكافحة الأمراض السرية » أمثلة لطرق الدعاية وكيفية وجوب نشرها بين طبقات الجمهور . ولا ريب أن مصلحة الصحة أحسنت صنعا بعدولها وقتئذ عن مشروع إنشاء مستشفيات خاصة واستعاضت عنه بإنشاء سلسلة مستوصفات عديدة غير أنها أهملت أو تجاهلت لليوم أهمية الشرط الثانى الذى عليه يتوقف نجاح هذه المستوصفات . وها هى السنون والأيام منذ إنشاء هذه من سنة ١٩٢٥ إلى اليوم قد أيدت صدق ما توقعته يومئذ من عدم نجاح هذه المستوصفات النجاح المنشود بدليل تقرير وزير الصحة ولم تترك أى مجال للشك بضرورة عمل هذه الدعاية وها أنا أكرر اليوم باللفظ الواحد ما قلته في مقطم ٦ أغسطس سنة ١٩٢٥ :

« لنجاح المشروع يجب عمل بروباجندا شديدة عامة لتشجيع المرضى للتقدم للمعالجة لأن الأمراض الزهرية ما زالت معتبرة فى بلاد الشرق أمراضاً معيبة تقتضى التستر ولذا لن يؤم هذه المستوصفات إلا العدد القليل جداً ومن طبقة خاصة من المصابين ما لم تبذل جهود عظيمة لتشجيع واجتذاب المرضى وتعليم الجهال مضار هذه الأمراض وتحذير المتهورين وإظهار المستترين وتخويف المهملين وأنجع طريقة لذلك هى الاعتماد على منشورات وإعلانات عامـــة تتضمن البيانات الآتية : وهاك مثال منها (كما نشر حرفياً فى عدد المقطم المذكور)

إرشادات هامة لكل فرد من أفراد الأمة :

(١) إن الأمراض الزهرية ليست حتما ناتجة عن اختلاط جنسى فكل شخص معرض لها وكثيراً ما يصاب بها الأبرياء . تارة مباشرة باللمس أو بالتقبيل أو بالوراثة وطوراً عرضاً باستعمال أدوات منزلية أو عمومية

ملوثة بمكروب المرض كأدوات الحلاقة والتزيين والحمام أو أدوات الأكل والشرب أو فى المحلات العامة وسواها .

(٢) يتضح من ذلك أنها ليست أمراضاً معيبة . فلا تحتاج إذن إلى التستر بل يجب اعتبارها أمراضاً اجتماعية توجب معالجتها ومنع انتشارها مثل سائر الأمراض المعدية العادية كالحميات وغيرها .

(٣) التستر على هذه الأمراض وعدم التقدم لمعالجتها علاجاً تاماً دون شك يزيد من خطورتها ومضاعفاتها وأخطار تفشيها .

(٤) تبقى جراثيم المرض إذا ترك دون علاج أو كان الأخير سيئاً غير تام كامنة فى الجسم سنوات عديدة دون ظهور أى عارض ينذر بخطر وجودها فيقتنع العليل بشفائه مع أنه فى نفس الوقت ينقل جراثيم المرض إلى غيره وإذا تزوج فسيجنى على زوجته وأولاده .

(٥) يجب اتخاذ أقوى وسائل الوقاية الشخصية لمنع العدوى وإذا فرض وحدثت العدوى فالواجب المبادرة إلى الطبيب الاخصائى لمباشرة العلاج عند أول ظهور المرض قبل انتشاره وتأصله .

(٦) بتأصل الداء وازمانه يحتاج العليل دون شك إلى علاجات طويلة تستغرق شهوراً وربما يحتاج الأمر إلى علاجات دورية مستديمة غير أن المصاب يجب أن لا ييأس مطلقاً إذ توجد اليوم علاجات فنية حديثة غالية ورخيصة، قوية وخفيفة، بل قد صار فى استطاعة كل مصاب مهما كانت حالته، فقيراً كان أو غنياً، ضعيفاً كان أو قوياً أن يتخلص من دائه ويستأصل شأفة مرضه بالطرق العديدة التى تضمن له الشفاء والهناء بدل اليأس والشقاء وتمكنه من الزواج إن أراد وإنتاج بنين أصحاء أقوياء .

(٧) ليس جرماً أن يصاب المرء بالمرض فكل شخص معرض له حتى بالطرق البريئة العرضية وانما الجرم أن يهمل العليل علاج نفسه ومن ثم ينقل العدوى لغيره فتلك جريمة يعاقب عليها . فحذار من الإقدام على الزواج قبل التأكد بذمة وأمانة من صلاحيتك له رفقاً بأبناء وطنك ورحمة بزوجتك وأولادك وتوفيراً لوقتك ومالك . . .

تطبع أمثال هذه الاعلانات باللغات الشائعة وتلصق على أبواب المستوصفات والمستشفيات العامة والخاصة والقشلاقات العسكرية والأندية الرياضية والاجتماعية والمحال العمومية . وعلاوة على ذلك يستحسن إذاعة مضمون هذه البيانات السلمية القاطعة بواسطة الراديو أو السينما أو نشرها بواسطة الجرائد والمجلات وتعميم نشرها بواسطة الطلبة وطبقة المتعلمين الذين نعتمد عليهم فى مثل هذه الظروف لتنوير بقية الطوائف الأخرى الغير متعلمة . وبتأثير هذه الدعاية المشجعة لابد أن نرى بعـــد وقت غير طويل المصابين يفدون إلى هذه المستوصفات المجانية أو إلى العيادات الخصوصية دون تستر أو تكتم وإذا كان العلاج وافياً تاماً نتمكن بعد زمن من استئصال شأفة هذه الأمراض وإزالة منابعها ومن ثم تطهير الهيئة الاجتماعية من هذا الوباء . وفى سبيل هذه النتيجة يجب الحث على بقية طرق الوقاية الآتية :

الفصل الثانى

الوقاية الفردية أو الشخصية

وذلك بتنوير كل فرد بأخطار العدوى العرضية المتنوعة التى يتعرض لها المرء فى كل لحظة وقد سبق شرحها مطولا فى ص ١٦ . فبنشر طرق العدوى العرضية هذه واعلانها بوسائل الدعاية السابقة لتنوير الجمهور وتنبيهه يتسنى لكل فرد معرفتها ومن ثم اجتنابها بغية الوقاية الشخصية وملافاة خطر العدوى .

وإننى أرى أنه يمكن لمصلحة الصحة العمومية أن تساهم فى قسط كبير من هذه الوقاية وذلك بالتشديد على أصحاب المقاهى والمطاعم ومحلات الحلوى والحانات بوجوب تعقيم الأقداح والكوبات والملاعق والشوك الخ . إما بتغطيسها فى محاليل مطهرة كمحلول جافيل ٠/٠ ٥٠ Eau Javel أو بغليانها مع الكربونات الصودا وكذلك بالتشديد على الحلاقين ومقلمى الأظافر وسواهم بتعقيم الأمواس والمقصات والأمشاط وسائر الآلات المعدنية بتغطيسها إما بالاسبرتو العادى أو بمحلول سيانور الزئبق - واحد فى الألف - مع إجبارهم على وضع اعلان أمام الزبون ينبهه إلى ضرورة طلب إجراء التعقيم أمامه .

وفى المؤتمر الزهرى الدولى الأخير (مصر سنة ١٩٣٣) وافق أعضاء المؤتمر بالأغلبية على أفضلية إرشاد الشبان للالتجاء إلى الوقاية الفردية العملية بعد الاختلاط الجنسى باستعمال الأدوية والمراهم أو

الأغطية المطاط وغيرها دون أى دعاية لها فهذه احتياطات واقية ينبغى اتباعها ولو أن السـلاح الوحيد للوقاية الفردية هو الإرشاد التثقيفى والتهذيب الجنسى فى سبيل الامتناع التام إذ فى ذلك الوقاية الأكيدة الحقيقية غير أنه فى انتظار نشر هذا التهذيب ولحين بلوغ درجة الرقى العلمى والكمال الاخلاقى وجنى ثماره ينبغى اتخاذ وسائل الوقاية الفردية العملية بعد المغامرات الجنسية فهى سلاح لا يجوز قطعاً إهماله ولكن بالشروط الآتية :

أولا ـ أن ينظر الشاب إلى كل اختلاط جنسى غير شرعى كاختلاط مشبوه مهما امتازت ظروفه وتعالت طبقاته وتخصصت أفراده .

ثانياً ـ يجب استعمال هذه الوسائل عند الاختلاط الجنسى أو عقبه مباشرة .

ثالثا ـ أنه فضلا عن ذلك قد تحدث العدوى بطرق شاذة كالتقبيل والملامسة الخ فتظهر العدوى بمواضع أخرى غير الأعضاء التناسلية .

رابعاً ـ ان وسائل الوقاية الفردية العملية ذاتها ليست يقينا سلاحاً ماضياً مضموناً ليتسلح بها المتخوف ويتدرع بها المجازف لأن أغلبها لا يؤدى الضمانة التامة المنشودة غير أن أفضلها هى العملية الآتية :

المبادرة إلى التبول عقب الاختلاط الجنسى مباشرة ثم غسـل الأعضاء باعتناء زائد وتنشيفها جيداً وبعد ذلك ـ للوقاية من الزهرى يدهن العضو التناسلى جيداً بأكمله لا سيما تحت القلفة ودائر القيد بمرهم الثزبق الحلو كالوميل ٣٣ ٪. وللوقاية من السيلان يحقن فى المجرى البولى

مقدار ٢٠ نقطة من محلول الارجيرول Barnes ٢٠ ٪ وتحفظ داخله مدة ٥ دقائق بواسطة الضغط على فتحة المجرى بالأصابع ثم عقبها يمسح الزائد من المحلول الناضح من المجرى بالقطن ويلف العضو بمنديل منعاً لتلويث «اللباس» مع الامتناع عن التبول بضع ساعات . ويستحسن عدم التباطؤ فى تأدية هذه العملية إذ كلما تأخرت كلما قلت ضمانتها .

obeikandl.com

الفصل الثالث

الوقاية النسبية والوراثية أى وقاية الزوجة والنسل

كثيراً ما يحمل العريس الشاب لعروسه مع الهدايا الزوجية جراثيم المرض فتتقبلها هذه صاغرة دون معرفتها وفى غالب الأحيان دون معرفته هو أيضاً ، على اعتبار أنه خالى من المرض لكونه لايشعر وقتئذ وربما من زمن طويل بأى أعراض مرضية مع أنه يحمل سمومه فى دمه وفى جسمه فيجنى على الزوجة الشابة ثم على أولاده . فلوقاية الزوجة والنسل يجب التأكد من سلامة الزوج وصلاحيته قبل إقدامه على الزواج . وهذا لايتأتى إلا باتباع اجراءات صحية لطلاب الزواج . وإننى أرى أن يتبع الفريقان طالب وطالبة الزواج الاسترشاد بالاستشارة الطبية قبل الزواج إذ أن التبادل بين الطرفين بهذا الاسترشاد إنما هو الوسيلة الوحيدة لصيانة الأرواح البريئة التى تذهب ضحية هذه الأمراض الخبيثة ووقايتها من الأمراض والعاهات الوراثية . وقد وصفت تأثير الزهرى الوراثى فى المواليد وفتكه الذريع فى الأطفال فلحماية الزوجة والطفل يتضح جلياً أن الاستشارة الطبية قبل الزواج تدبير مرشد لابد منه فهى تعين الطبيب فى أغلبية الأحوال على إبداء أفضل النصائح لوقاية الذرية وتحسين النسل ووصف طرق علاجية لاتقاء العدوى الزوجية وتجنب ولادة أطفال مثقلين بعاهات وراثية أو ضعفاء أو مهددين بمفاجئات مكدرة عند تقدمهم فى السن . وهى خير وسيلة لوقاية الأسر من العاهات والامراض

والوفيات المبكرة وما يترتب على ذلك من المصائب والنوائب الاجتماعية . ولكن كيف السبيل لترويج هذا الاسترشاد ؟ إننى لا أنكر إنه موضوع دقيق عالجته جدياً أغلب الدول المتمدينة فبعضها كالسويد وإيطاليا وألمانيا وتركيا وغيرها عمد إلى سن قانون صارم يجبر طلاب الزواج على الحصول على شهادة لياقة طبية قبل الزواج وفريق من هؤلاء تطرف إلى حد أن عمد إلى تعقيم الغير لائقين والشواذ حتى العمى والصم الخلقيين لمنعهم من انتاج ذرية سيئة . والبعض الآخر استنكر هذا القانون خوفاً من إيجاد عقبات جديدة ضد الزواج سيما فى فرنسا حيث استحكمت أزمة الزواج فى السنين الأخيرة فهبطت تبعاً لذلك نسبة المواليد وارتفعت نسبة الوفيات، إلا انها فى سبيل اتقاء الأخطار النسبية والوراثيـــة لجأت كانجلترا إلى مكافحة مصادر هذه الأخطار فحصرت جهودها فى الوقاية الإجماعية بشرطيها الأساسيين فعممت العيـادات السرية المجانية حيث بلغت هذه أخيراً فى فرنسا ١٧٠٠ قسما ٤٢١ مليون من السكان أى قسما لكل ٢٥ الف نسمة (بينما فى مصر واحداً لكل ٦٢٠ الف) واجتذبت المصابين وغيرهم من الموسوسين والمهمين بدعاية واسعة النطاق حتى بلغ زوار هذه الاقسام فى سنة واحدة حوالى ٥ مليون زائر منهم ١٦٧ الف زائر سليم حضروا للاستشارة فقط بغية الاستفسار والاطمئنان ، مما يعزز هذه الدعاية ويؤيد اثمارها . وقد أدى تطبيق هذا النظام إلى تقليـــل حوادث العدوى الزهرية (الأولى والثانوى) إلى نصف ما كانت عليه سنة ١٩٣٠

فبعد مقارنة مختلف اللوائح السارية اليوم فى بعض البلدان المتمدينة أرى أنه لا يمكننا أن نحذو حذو الفريق الأول والأخذ باجبارية الشهادة الطبية

قبل الزواج لما فى ذلك فى بلادنا من الصعوبة والتمويه والتدليس وإحراج للمريض وإحراج للطبيب : إحراج للمريض إذ يضطر هذا أن يلتجىء إلى وسائل الغش والتدليس أو إلى ضروب الكذب والتكران للحصول على الشهادة المطلوبة قبل الزواج صوناً لكرامته ومركزه أو محافظة على مصلحته ووظيفته . ولا يخفى ما يتأتى من اتباع هذه الوسائل الغير شريفة من إحراج للطبيب إذ لا مفر له أحياناً أمام هذه الحجج والادعاءات والإثباتات من إعطائه الشهادة صاغراً سيما وأنه ليس لديه قياس أو دليل قاطع على دحض ادعاءات الطالب فى بعض الحالات المزمنة لا سيما فى الزهرى ومن ثم تحمله تبعة الشهادة ومسئوليته أمام القضاء فتخلصاً من ذلك قد يضطر إلى التهرب أو التشدد فى التصريح بالزواج فى الوقت الذى تفكر فيه الحكومة فى سن تشريع ضد العزوبة . كما أنه لا يمكننا بأى وجه فى عصرنا هذا ـ عصر التجديد ـ ترك الحبل على الغارب كما كنا فى العصور الغابرة لما فى ذلك من خطورة الجرم على الزوجات البريئات والقضاء المبرم على النسل فى الوقت الذى تبذل فيه الحكومة نصيباً من جهدها ومالها فى سبيل مكافحة الخطر الزهرى بإيجاد مستوصفات سرية متعددة فى أنحاء القطر ومراكز متنوعة لرعاية الطفل — وإنما اقترح فى بادىء الأمر أن ينصح طلاب الزواج بواسطة أطباء العائلة والمرشدين والوعاظ ورجال الدين داخل المساجد والكنائس والمعابد وخارجها أن يسترشدوا بالاستشارة الطبية بشأن زواجهم والأفضل إتمام

ذلك على دفعتين : الأولى قبل خطوبتهم (أو كتب الكتاب) منعاً للمفاجئات المحتملة وكسباً لمجال من الوقت يساعد فى حالة ظهور شىء منها على مداركتها

قبل الزواج . والدفعة الثانية فى اليوم السابق للزواج تأييداً للاستشارة الأولى . وهذه إذا أحيطت بالضمانات العلمية الدقيقة قد تقوم مقام التعقيم طالما الغرض من الأخير وقاية النسل ومنع إنتاج الشواذ .

وقد سبق وناديت بذلك فى محاضرتى « الأمراض الزهرية والزواج » فى المؤتمر الطبى العربى الثانى . القاهرة سنة ١٩٣٩ . وقد علقت عليها جريدة الأهرام بمقال فى ٥ مارس سنة ١٩٣٩ تحت عنوان « أزمار وأشواك » أبدت فيه ارتياعها من هول ضحايا الزهرى وفتكه الذريع فى النسل ، وحملت على المسئولين عدم اتخاذ أى تدبير إزاء ندائى للاستشارة الطبية قبل الزواج — لدفع الخطر عن الأسر وعن الذرية النابتة . وأخيراً فى سنة ١٩٤٦ ظهرت بادرة اهتمام أولى الشأن بهذا الموضوع الخطير بفتح مكتب للكشف الطبى لطلاب الزواج . وليس المهم فتح المكتب ، فالعيادات السرية المجانية فيها كل الاستعداد اللازم لذلك . ويكفى تحديد أوقات وساعات معينة من كل أسبوع تكرس خصيصاً للاستشارات الطبية قبل الزواج . وان كانت تنقصها اليـــد العاملة لذلك ، ففى وسع وزارتى الصحة والشئون الاجتماعية — كشأنها فى الحرب الأخيرة ازاء الغارات الجوية — مناشدة الأطباء الأخصائيين ليتطوع كل طبيب بساعة واحدة من وقته فى أقرب عيادة سرية له ، وانى أول من يلبى هذا النداء . كما اعتقد أن الكثيرين من زملائى الاخصائيين أمام خطورة هذه الحالة لا يضنون بساعة من وقتهم لهذا الواجب المقدس خدمة للانسانية . وانما المهم هو عمل الدعاية اللازمة بجميع الطرق (ص ١٥٤) لنشر مبدأ وجوب الاستشارة الطبية قبل الزواج .

فبنصح طلاب الزواج للاسترشاد بالاستشارة الطبية ومع الدعاية

لها بواسطة أطبـــاء العائلة والمرشدين والوعاظ ورجال الدين وغيرهم لا تلث الاستشارة الطبية قبل الزواج أن تصبح بعد وقت عادة حميدة متبعة وبواسطتها يدرك المصابون منهم لا سيما المتهورون والغافلون ضرورة المعالجة قبل الزواج فيقدمون على العلاج بكل إخلاص فى سبيل تجنب العدوى الزوجية ووقاية الذرية وتحسين النسل .

كما وأنه لوقاية الزوجين ونسلهما يقتضى تجنب التزاوج بين الأقارب من عصب واحد سيما إن كان هناك أقل اشتباه بوجود تاريخ مرض عائلى فى الآباء أو الأجداد .

هـذا بشأن طلاب الزواج . أما المتزوجين من قبل أى الأسرات المؤسسة ، حديثة كانت أو قديمة إذا ثبت وجود المرض فيها أو فى أحد الزوجين ففى سبيل صيانة النسل وضمان نشأته وولادته سليما قوياً يجب علاج الزوجين وخصوصاً الزوجة مدة حملها ، ومهما اختلف الاختصاصيون فى تعليل نشوء الزهرى الوراثى إلا أنهم اتفقوا فى نتيجته وأجمعوا على أن أمهات الأطفـال المصابين بالزهرى الوراثى تجب معالجتهن علاجاً تاماً ومعالجة أطفالهن مهما كانت حالة هؤلاء الأمهات سليمة ظاهرياً ، فبذلك وحده يمكن وقاية الزوجة والذرية .

وكثيراً ما يلتقط الطفل ساعة ولادته عدوى السيلان فى عينيه من أمه المصابة فيخرج إلى هذا الوجود ملوثاً بهـذا المرض الذى يسبب له رمداً صديدياً شديداً تصحبه مضاعفات خطيرة قد تؤدى إلى فقدان النظر . فلذلك يجب علاج الأم المصابة علاجاً تاماً قبل الوضع وتتخذ رغماً عن ذلك الإجراءات اللازمة لوقاية الوليد من هذه العدوى الخطيرة — يكفى لذلك بضع نقط من محلول ٢ ٪ نترات الفضة ، تقطر فى عينى الطفل عقب ولادته مباشرة Méthode Crédé

الفصل الرابع

الوقاية الثقافية الاخلاقية : بتلقين النشء التهذيب الجنسى

من نكد الدنيا رغم كوننا فى القرن العشرين « عصر التجديد » وقد غيّرنا الكثير من عاداتنا وأنظمتنا القديمة بل قلبنا بعضها رأساً على عقب تمشياً مع التطور الحديث ـ رغماً عن كل هذا ، ما زلنا كما كنا في العصور الغابرة ـــ نرى إحجام الآباء والمدرسين عن مصارحة الأبناء والطلبة بأسرار المراهقة والبلوغ والفضوليات الجنسية ، وعن مفاتحتهم بأسرار الحياة وحقائقها وغاياتها ، وعن تحذيرهم من الأخطار الأدبية والجسمانية المحدقة بهم فى كل لحظة منذ دخولهم فى حياتهم الجنسية ، مفضلين ترك هؤلاء التعساء لشأنهم جهلاء تحت رحمة الأقدار عرضة للوقوع فريسة سهلة ، خاضعين بذلك لطبيعتهم البشرية منقادين لتقليد الخلان الأشرار

والأشد والأنكى أن هؤلاء الآباء والمدرسين لا يألون جهداً فى تحذير الأحداث والشبان من الدخان والمسكرات ونهيهم عن الكذب والميسر والسرقة الخ . وهم لا يحجمون عن تنبيههم إلى كل هذه الأخطار وغيرها . وقد لا يدخرون عناءاً أو مالاً فى سبيل حمايتهم ووقايهم بشتى الوسائل العلمية الحديثة كالحقن والتطعيم ضد سائر الأمراض المعدية كالجدرى والدفتريا والتيفوئيد وغيرها . ولكنهم مع ذلك يعمدون إلى التمويه أو تحاشى ذكر أدنى كلمة عن ما يمكنه أن يجلب أكبر ضرر للفتى عند دخوله فى حياته التناسلية ـ وهى أضرار وأخطار قد لا يبعد أن يكونوا هم أنفسهم

قد وقعوا فيها من قبل ، أيام جهلهم وشبابهم بل وربما ما زالت آثارها باقية فيهم للآن وهم لذلك أدرى من غيرهم بخطورتها وسوء عواقبها . وما أساس هذا التناقض الغريب فى تصرفاتهم سوى أوهام باطلة ومخاوف وهمية من تعكير طهارة قلوب الأحداث بايقاظ شعور مقلقة وأفكار سيئة وفضوليات مضرة لجعلوا من هؤلاء الأحداث فرائس سهلة وضحايا أخطار أدبية وجسمانية خطيرة لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً

فلاقناع هؤلاء الآباء والمدرسين بخطأ مسلكهم وعاقبة مخاوفهم الجائرة لا أرى بصفتى مختصاً فى هذه المسائل وأمارس الأمراض السرية من سنة ١٩١٩ إلى اليوم حجة أقوى من اطلاعهم على ما شاهدته فى هذه المدة من البؤس الأدبى والشقاء الجسمانى فى عشرات الألوف من الحالات. من أحداث ناشئين وفتيان بائسين لعدم تنويرهم وتحذيرهم والأخذ بيدهم فى بدء حياتهم الجنسية قد اكتسبوا عادات سرية أو أمراضاً زهرية أو شذوذات جنسية هددت كيانهم وأتلفت أعصابهم فجعلت حياتهم منذ مبدئها بؤساً وشقاءاً . ولزيادة الإثبات سأورد لهم هنا بياناً باحصاءات عملية دقيقة لمشاهداتى الخاصة فى ٩٠ ألف حالة أمراض سرية وعلل تناسلية عاينتها فى السبعة والعشرين سنة الأخيرة فى مصر فظهرت فيها نسبة الإصابات كما يأتى :

٢٠ ٪ منها أحداث ما بين الرابعة عشر والعشرين سنة .

٤٢ ٪ « شبان « « ٢١ — ٣٠ سنة

٢٤ ٪ « رجال « « ٣١ — ٤٠ «

١٢ ٪ « « « « ٤١ — ٥٠ «

٢ ٪ « « « « بعد سن الخمسين .

مما تقدم يتبين أن نسبة الإصابات فى الأحداث والشبان هى ٦٢ ٪ وأهم ما يجب ملاحظته فى نسبة الإصابات فى فئة الشبان وحدها أن ما يقرب من ٣/٤ الشبان المصابين (٧١ ٪) كانوا فى حالة مرض مزمن، أى قد سبق وانتابتهم هذه العلل بضع سنين من قبل أى فى أيام حداثتهم. ونظراً لجهلهم وقتئذ ماهيتها وخطورتها أو خوفاً من اطلاع آبائهم عليها أهملوها أو أساءوا علاجها طول هذه المدة فتركت فيهم عواقب سيئة ولا يبعد أن تظل آثارها فى البعض منهم ملازمة لهم كظلهم إلى آخر العمر.

ولعل هذه الأرقام كافية لإثبات ضلال المعارضين المحافظين على العقائد والتقاليد القديمة وبطلان زعمهم وفساد مخاوفهم، إذ هى براهين ناطقة على سوء عاقبة إحجامهم وإهمالهم. ومنها يثبت لكل عاقل ذى ضمير إن تهذيب الأحداث بالتثقيف الجنسى والتحدث معهم ساعات وأياماً وشهوراً لا يفسدهم مطلقاً بقدر ما تفسدهم الدقائق المعدودة مع الأشرار الساقطين والخلان الفاسدين. ولا يضرهم قطعاً بقدر ما تجلبه الفترات القصيرة مع النساء الفاسقات من ضرر العدوى بالأمراض السرية، ولا بقدر ما يجره عليهم جهلهم بخطورتها وإهمالهم إياها، وما يسببه هذا من المضاعفات والعواقب الخطيرة. فغير التهذيب الجنسى لا أفهم كيف يتسنى للفتى أن يعتبر المسائل الجنسية كسائر وظائف الجسم وأعضائه وإحدى معانى الحياة. وهى على حد قول أحد كبار الكتاب المفكرين ليست فى حد ذاتها خيراً ولا شراً وإنما الطريقة التى تستغل بها وتستخدم فيها هى التى تجعلها أحد النقيضين خيراً أو شراً. فالجهل بنبل غايتها وسوء استعمالها يؤدى حتماً إلى مهاوى الرذيلة والفسق

فضلا عن أنه قد يكون مصدراً للاضطرابات العصبية العنيفة والأمراض البدنية الخطيرة كالسل وخلافه . ولا أدرى كيف يتسنى للفتى أن يدرك أن إرواء الدافع الجنسى ليس مطلقاً أمراً لازماً لا غنى له عنه . بل أين له أن يعرف أن الفسق والفجور هما أيضاً خطر للقلب وللجسم وللمجموع. وبأى سبيل يمكنه أن يعلم أنه يجب على الشاب أن يدخر قواه التناسلية كسائر قواه البدنية سليمة لحين زواجه ليتمكن من تحقيق نموذج الكمال الذى يجب أن ينشده كل شاب وهو تأسيس أسرة ذات نسل سليم قوى خالياً من العلل والعيوب التى تتأتى من سوء استعمال المسائل الجنسية أو من تأثير الأمراض السرية

مما تقدم يؤيدنى ولا شك الكثيرون فى اعتقادى أن التهذيب الجنسى ليس واجباً إلزاميا فحسب ، وإنما إهماله جرم كجرمنا إن تركنا صغارنا يلعبون دون رقيب بقرب النار مستهدفين لخطر لهيبها ، فيؤدى اغفالنا لهم إلى إمتداد النار إليهم واحراقهم . وإن جرمنا يكون أكبر وأشد إن تركنا أحداثنا يتلمسون فى دياجى الظلام والجهل بالمسائل الجنسية معرضين فى كل لحظة لأخطار أدبية وجسمانية خطيرة إلى ان يتمكنوا من معرفتها بأنفسهم متأخرين بعد ان يكونوا قد سقطوا فى أخطارها ومصائبها ، فيعيشون غارقين فى آلامها وعواقبها ، محترقين بوصمتها وعارها . فلاجتناب هذا الجرم وتبعاته أرى من أوجب الضروريات أن يحتل التهذيب الجنسى نصيباً وافراً من وقت الآباء والمعلمين وأن يعتبر فرعاً من فروع التهذيب الحديث نظراً لما له من الأهمية القصوى فى تعديل خلق الشبيبة وما له من التأثير الحميد فى تكوينها ومستقبلها ، إذ لا شك فى أنه الأساس الأقوى الذى يجب أن تبنى عليه

دعائم التقويم الاخلاقى فى شبابنا الناهض . ولا غرو فهو وحده يخمد الفضول والتشوق اللذين يغذيهما الجهل فى مخيلة الاحداث . وهو وحده يسكن سائرهم وينير بصائرهم وبذا يفهم شرور الطيش والمغامرات الغرامية التى تثيرها فى سن البلوغ فضوليات هائجة ومتعطشة . يجب أن يشرع فى التهذيب الجنسى عاجلا حوالى بلوغ الفتى سن العاشرة حينما يبدأ بالقاء أسئلة فضولية بريئة على والديه ويستمر لسن الرشد حتى إذا ما بلغ الفتى سن الخامسة عشر يكون وقتئذ على بينة ما بأسرار الكون والمراهقة والبلوغ فيدرك خوافيها ودقائقها وغاياتها ، وعلى علم بحقائق الدنيا وما فيها من شر وضر واذى فيتنبه إلى سيئاتها وآثامها ، وعلى معرفة بفساد مظاهر المدنية المغرية وخطر المغامرات الجنسية الطائشة فيكون منها على حذر ويخشى عواقبها المروعة وبأسها الشديد .

لا أنكر انها مسألة تهذيبية دقيقة ولكن عصر الجهل والأراجيف والمخاوف قد ولى ، وآن لنا أن نسعى إلى الهدف الاسمى للتهذيب الحديث ألا وهو تهيئة الشاب تهيئة كاملة للقيام بمعترك الحياة كلها . ولا يتسنى له ذلك إلا بتهذيبه تهذيباً علمياً سامياً ، وأخلاقياً فاضلا . وصحياً كاملا

أما وقد أرانى توصلت لإقناع البعض بوجوب السعى فى نشر التهذيب الجنسى ، أتقدم الآن إلى معالجة أهم مشكلة فى هذا الموضوع الدقيق ، ألا وهو كيفية الشروع فيه . فكيف يتسنى ذلك للآباء والمعلمين ؟ كيف يشرعون وكيف يسيرون ؟ وماذا يقولون للأحداث دون أن يصدموا حياءهم الحساس ويوقظوا فيهم الأفكار السيئة والفضوليات المضرة .

فلمساعدة هؤلاء لتأدية هذا الواجب أرانى مدفوعاً قياماً بواجبى كوالد ثم كطبيب أن أوصف لهم أسلوبى وقد أسميته «القلم الناطق فى تهذيب المراهق» وقد حاز من القبول والتشجيع حين عرضه فى المؤتمر الطبى العربى الأول ببغداد سنة ١٩٣٨ ما يدفعنى رغماً عن كون هذا الكتيب لا يتسع مطلقاً للافاضة فى هذا الموضوع الأخلاقى الكبير على شرحه لهم بإيجاز :

هو عبارة عن سلسلة محادثات ومشاهدات منظورة وجلية تعبر عن نفسها بأفصح بيان وهذا « القلم » مؤلف من خمس أشرطة كل شريط منها متسلسل المعانى متدرج المواضيع يهيء الفتى للمواضيع المقبلة لا مجال هنا للخوض فيها جميعها ، وإنما أذكرها بإيجاز إتماماً لتفسير « قلمى » فى التهذيب الجنسى وإرشاداً للآباء والمعلمين فى كيفية الشروع فى هذا الموضوع الدقيق وتسهيلا لهم فى خطة السير فى تهذيب أحداثهم التهذيب الجنسى بأسلوب تدريجى لا يدع مجالا قطعياً لمخاوف بعض الآباء المعارضين ـ ويمكنهم أن يبنوا عليها ويتوسعوا فيها خدمة لمصلحة أبنائهم . ولهم إن أرادوا مزيداً فى أى موضوع كتب ومراجع عديدة يعتمدون عليها .

الشريط الأول :

منشأ الكون ـ قدرة التناسل فى النباتات والطيور والحيوانات .

يعرض هذا الشريط فى الهواء الطلق — فى الحدائق أو المزارع حوالى بلوغ الغلام سن العاشرة إذ فى هذا السن إن لم يكن قبله يكون الصبى ذا معارف مبهمة باختلاف الجنس . وقد رأى سابقاً تزاوج الحيوانات الداجنة فى منزله وتوالدها وقد لا يخلو الأمر أن يكون قد شاهد صدفة ولادة قطة أو جرو أوغيره و رأى إرضاع الأم لصغارها ـ

شاهد كل ذلك باهتمام دون أن يدرك أسبابها ومغزاها ولعـــله قد تساءل مراراً كيف أتى الجرو ومن أين أتى أخوه الصغير الرضيع. فلادراك هذا يشرع الأب أو المعلم هناك فى الحدائق أو المزارع بلفت نظر الصبى إلى خضرة الطبيعة ونضرة جمالها وتغريد طيورها وتنوع مناظرها وتعدد فصولها ، محادثات تمهيدية عن منشأ الكون ، كيف خلق الله سبحانه وتعالى كل شىء من لاشىء ، تأليف الكون من عنصرين أساسيين : أحياء وجماد ـ أحياء منحها الله سبحانه وتعالى الحياة كالطيور والحيوانات والأسماك والأشـــجار الخ . جماد أمسك عنه الحياة كالقمر والشمس والجبال والبحار الخ

خلق الله تعالى الأشجار والطيور والحيوانات وكل ما هو حى ومنحه أيضاً قدرة خالدة على التناسل وإنتاج غيره ، كل على نحوه وشكله إبقاءاً على نوعه حتى لا ينعدم من الوجود ، فهى بهذه القدرة المقدسة لا تخلق كما هى خلقت من لاشىء ، بل تنتج وتخلف نسلا لها من نوعها ونحوها . وهذا يسمى قدرة التناسل والانتاج

يتساءل الصبى كيف يحدث هذا . من مشاهدات الفتى منذ طفولته قد لاحظ أن كل حيوان من الحيوانات الداجنة التى شاهدها لكل منها كما له هو أب وأم ولكنه لا يخطر بباله أن كل حى من الأحياء له أيضا أب وأم سواء كان نباتاً أو طيراً أو حيواناً . فيلفت نظر الصبى إلى المزروعات ويؤخذ عود القطن أو عود الذرة المزروع أمامه مثلا لما يحدث فى بعض النباتات حيث يكون الأبوان عائشين سويا فى نبات واحد ، فى نفس الساق الرئيسى ولكن طبيعتهما المختلفتين لا تشاهدا الا عند

بلوغ النبات أشد نموه . فنى الذرة مثلا عند ما يبلغ العود تمام إرتفاعه وتبتدىء الآذان تتكون على جانبيه وتنشر خيوطها الحريرية من أطرافها يظهر فى نفس الوقت عدد عظيم من النوّار (شرابه . شوشه) فى أعلى الساق فالآذان بقشورها التى تتدلى منها الخيوط الحريرية هى الأم أو مظاهر الأنثى فى الذرة غير أن الشرابه أو الشوشه بنوّاراتها هى الأب أو مظاهر الذكر فيها وعند ما يهز النسيم عود الذرة يتساقط غبار الزهر التناسلى (مادة اللقاح Pollen) من الشوشه (الأب) على الخيوط الحريرية (الأم) فحملها هذه لكل نواة بمفردها ـ كل خيط يتصل بنواة واحدة . وبهذه العملية التلقيحية كل حبيبه تظهر على عود الذرة قد وهبت جوهر وروح الحياة وبدونه يستحيل أن تصير حبة ذرة فلذا تنمو الحبوب وتكبر رويداً رويداً على « كوز » الذرة إلى أن يتم نضجها فتقطع « الكيزان » ويترك العود الأصلى ليجف ويموت ، طامساً معالم الأب والأم غير أن كل حبة ذره تتجت منه فيها حياة كامنة حتى ولو مضى عليها سنون إذ ان حبة الذرة الجافـــة عند زرعها فى أوانها فى الأرض تعود إلى الحياة ، فحرارة الشمس ورطوبة الأرض توقظان تلك الروح الكامنة فيها ، وما هى إلا بضعة أيام حتى تستيقظ فيخرج من تلك الحبة المزروعة فى الأرض نبت جديد صغير ينمو رويداً رويداً حتى يصبح كسلفه عوداً كبيراً ينتج فى الوقت المناسب كأبويه حبوباً من نوعه ومحصولا جديداً وافراً . وكل حبة من هذا المحصول الجديد فيها أيضاً روح كامنة مهيأة لحياة جديدة وانتاج محصول آخر . وهكذا منذ الخليقة استمر هذا الناموس الطبيعى مكرراً نفسه فى كل النباتات

والأشجار إلى يومنا هذا ـ كل نبات أو شجر يهيء السبيل لتخليد بقائه وحياته من بعده فى النبات أو الشجر الذى سيخلفه وهكذا على مدى القرون والأجيال حتى آخر الزمان . ولولا قدرة التناسل الخالدة لأقفرت الأرض وجفت ونتجت مجاعة أماتت كل مخلوق فى عالم الوجود

وما يحدث فى عود الذرة يحدث فى الزهور والورود والأشجار . وقد يعيش الأبوان سوياً فى نبات أو شجر واحد أو منفصلين كل على شجرة كأشجار النخيل وغيرها أو قد يكونا بعيدين عن بعض مسافات شاسعة غير أن الهواء أو الرياح أو النحل أو غيره يقوم بنقل غبار الزهر التناسلى من شجرة الأب إلى شجرة الأم وأحياناً كثيرة يقوم الإنسان بهذا النقل اصطناعياً كما يفعل الفلاح فى تلقيح أشجار النخل إذ ينقل « كوز الطلع » من شجر النخل الذكر ويهزه على قلب النخلة الأنثى لتسهيل التلقيح واضمان محصول أوفر من البلح . فمن هذا المظهر الطبيعى يدرك الطفل طريقة التناسل فى النبات والشجر .

ثم ينتقل المنظر إلى الطيور التى تغرد أمامه فى الحديقة ، طائرة من شجرة إلى أخرى تعيش حرة متنقلة كالعصافير والحمام وسواها حيث يعيش الأبوان مستقلين كل منهما له جسم قائم بذاته . وبدلا من الاعتماد على الرياح أو النحل فى تأدية عملية التلقيح كما فى النبات ـ يتحد الأبوان فى وقت ما ويختلطان بعضهما ببعض فيهب حينئذ الطير الذكر عناصره الحيوية الدقيقة التى تعادل مادة اللقاح فى النبات Pollen للأنثى لتلقيح البويضات فيهـــا وهنا بدل أن تنتج كالنبات حبوباً وبذوراً

تنتج بيضاً صغيراً . وبدلا من وضعـــه وزرعه كالحبوب فى الأرض تصنع له عشاً صغيراً على شجرة أو فى قفص يهيئه الأبوان لحفظ البيض فيه حيث يرقدان عليه ، تارة يرقد الأب وطوراً ترقد الأم ليعطياه حرارة جسميهما وبذا يوقظان الروح الراقدة داخل البيضة حيث يكوّن جسد الفرخ الصغير . فينمو هذا قليلا قليلا وبعد أسبوعين أو ثلاثة يتم نموه ويكمل تكوينه داخل البيضة فيكسر عندئذ قشرة البيضة « ويفقس » كما يقال ، فيخرج إلى الوجود طير صغير يبقى فى العش يغذيه أبواه ويرعيانه بحنو وعطف ليل نهار إلى أن يصبح قادراً على الطيران فيتركانه وشأنه . وعند ما يبلغ أشده وكمال بلوغه كسلفه يجيء دوره لتلقيح الأنثى وإنتاج بيض آخر وطيور أخرى كأبويه من نحوه وشكله . وهذه بدورها أيضاً تحذو حذو إسلافهـــا مكررة ناموس النشوء والتخليد وهكذا دواليك إبقاءاً على نوعها حتى لا ينعدم من الوجود . والطيور الكبيرة كالدجاج والأوز وغيرها مثلها كمثل الطيور الصغيرة .

وهذا منظر آخر فالكلبة تنبح وتعدو مسرعة وراء القطة الغريبة التى اقتحمت الحديقة دون استئذانها وكأنها تخشى على صغارها منها وقد شاهد الصبي فى الأسبوع السابق ولادة الكلبة جروين صغيرين وهو ما زال يشاهد كل يوم إرضاع الأم لصغارها وقد تساءل مراراً كيف أتت هذه الكلاب الصغيرة .

فى الكلاب والقطط والمواشى كما فى سائر الحيوانات على اختلاف طبقاتها وأنواعها وأحجامها يختلط الأبوان كما تفعل الطيور للتناسل وبدلا

من وضع البيض كما تفعل الأخيرة فى عش خارجى على شجرة أو فى قفص معرضاً للطوارىء والكسر والتلف تستبق البويضة بعد تلقيحها بلقاح الذكر فى جسم الانثى فى عش أمين داخلى فى بطنها جعل خصيصاً فى الحيوانات وبطريقة عجيبة لهذا الغرض . وهنا داخل الجسم يطرأ على البويضة نفس النشوء الذى يطرأ على البيضة فى العش على الشجرة وبعد وقت يتراوح بين بضعة أسابيع وسنة بحسب ارتقاء الحيوان . كما يكسر الكتكوت قشرة البيضة « يفقس » كذلك الحيوان فى بطن أمه عند تمام نموه داخل بطنها يخرج إلى الوجود أى يولد كما يقال عادة . فتعتنى به أمه بعد ولادته وترضعه من لبنها لوقت ما ثم تفطمه ، وطول الوقت ترعاه وتحميه من كل أذى ، ثم بعد ذلك يدخل فى دور نمو آخر يستغرق شهوراً أو سنين حسب درجة ارتقاء الحيوان . ففى الكائنات الحقيرة يكون زمن الطفولة قصير جداً ، ويكون أطول منه فى المخلوقات الراقية ، وأطول كثيراً فى الحيوانات الأكثر نشوءاً وأرتقاء وهلم جرا . والإنسان من حيث تركيبه حيوان ناطق بل هو أرقى وأشرف الحيوانات لذا كان وقت طفولته ونموه أطول منها جميعها ولكونه سبحانه وتعالى خلقه ليتحكم فى جميع المخلوقات ويسيطر عليها فقد ميزه عنها بنطقه وذكائه وشعوره فهو يفكر ويعقل ويعمل . ومنحه مواهب عقلية ومهارة يدوية ليستغلها فى ما فيه خيره ومصلحته — للاستنباط والاختراع وليس كواسطة للشر والضرر — لاختراع الماكينات والسيارات ليسابق أسرع الحيوانات ، ولبناء المراكب والغواصات ليسابق أسرع الأسماك ، ولعمل الطائرات ليسابق

الطيور ويعلو عليها، وله ضمير حي يحبذ عمل الخير ويستنكر فعل الشر. تشرح هذه بطريقة سهلة عادية تكسب ثقة الطفل وتشجعه على طلب ايضاحات أخرى. كما وأنه يلزم الاعتناء بالنبات أثناء نموه وما يتطلب ذلك من رى وتسميد وتقليم الخ مع دوام ملاحظته ليعطى فى أوانه زهراً جميلا وثمراً جيداً كذلك يجب الاهتمام بصحة الطفل فى طفولته وحداثته وتجنيبه شر الامراض وسواهـــا بالاعتناء بنظافة جسمه وتقويته ليشب قوياً نشيطاً وسوياً سليما إذ سلامة العقول والارواح فى سلامة الأجسام. ومن هذا ننتقل إلى الشريط التالى.

الشريط الثانى : علم حفظ الصحة والرياضة البدنية

يلقى هذا الشريط بعد العشاء فى غرفة الجلوس أمام موقد النار فيفتتح بمحادثات عن حفظ الجسم ونظافته. العقل السليم فى الجسم السليم. ينصح الصبي إلى وجوب نظافة جسمه بأخذ حمام على الأقل مرة فى الأسبوع، ويستحسن مرتين فاذا كان يومياً كان ذلك أفضل واكمل وأصح، ويجب الاعتناء بنظافة كل عضو من أعضاء الجسم. وكما يرشد الى ضرورة غسل أذنيه وتنظيف اسنانه يومياً وتقليم اظافره وغسل شعر رأسه على الأقل مرة فى الأسبوع وتمشيطه يومياً منعاً لتراكم الأقذار والحشرات، كذلك يرشد إلى غسل عضو التناسل كسائر الأعضاء بلهجة عادية طبيعية مستعملا الألفاظ الاصطلاحية فتغرس فى ذهن الصبى فلا تصدمه ابداً مع التنبيه عليه بغسلها جيداً كل يوم منعاً لتراكم الأفرازات الشحمية تحت القلفة، التى تهيج العضو وتحرك فى الصبي تهيجات جنسية. ومن هذا يتجلى الغرض

من الحكمة السامية فى فرض عملية الختان فى آخر الأسبوع الأول من حياة الطفل .

وتنظيف الجسم واجب ليس من الخارج فقط وإنما من الداخل أيضا مثل النار المشتعلة أمامه فى الموقد . فحرق الوقود فى الأخير ينتج الحرارة والدفء ، ولبقاء النار مشتعلة تقتضى إضافة وقود من وقت لآخر ، تحترق الوقود فيتصاعد جزء منها كدخان من المدخنة والجزء الباقى يتكوم كرماد فى الموقد ، فان لم يتخلص من الرماد المتراكم فينسد الموقد ويتعطل فتنطفىء النار . والمثل بالمثل فى الجسم . فالوقود هى الأطعمة التى نأكلها والدخان يطابق العرق الذى يخرج من مسام الجلد . والرماد يطابق الخثالة أو البراز فى الأمعاء فان لم يتخلص منه مرة فى اليوم فسيرسب ويتجمع فى الأمعاء ومنهـــا تتسرب سمومه إلى المجرى الدموى ومنه إلى سائر أعضاء الجسم . وإذا دام هذا فيحدث أضراراً وأمراضاً . فيجب والحالة هذه تفرغة البراز أو الغائط يومياً . ويستحسن كل صباح عقب الفطور كذلك يجب التخلص من السوائل البالية من الجسم بواسطة البول كل ٣ — ٦ ساعات أو كل ما اقتضت الحالة . وبدون تأدية هذين الواجبين يستحيل الحصول على صحة جيدة وجسم نشط وعقل سليم

أما نوع الوقود الواجب استعمالها فى الجسم لتبقى شعلة الحياة الجسدية موقدة على الوجه الأنسب والأفيد - فان الأطعمة المغذية هى الأفضل ، وتكون مطبوخة جيداً ومنوعة وتؤخذ بكميات معتدلة وفى أوقات منتظمة لتعطى وقتاً كافياً للمعدة لتهضم ما فيها . وتغذية الجسم لا تتوقف على كمية

ما يدخل الجسم وانمـــا على صنفه وجودته فلا يعيش المرء ليأكل وانما يأكل ليعيش .

وما ينطبق على الأكل ينطبق على الشرب . فالماء القراح هو احسن مشروب . والشاى والقهوة مضران للاحداث ولا يصح تعاطيهما اثناء نمو الطفل لان ذلك يقلل حيويته ويخمد نشاطه ويعوق نموه ويسبب له سوء هضم وخفقان وأرقا وفقر دم الخ والمشروبات الروحية مهما كان نوعها مضرة جداً لصحة الاحداث والتعود عليها يهيج المعدة فيحدث احتقاناً ثم رشحاً مزمناً فيها علاوة على ان جزءا من الكحول يتسرب إلى المجرى لدموى ، وهذا ينقله إلى سائر أعضاء الجسم فيحدث فيها أضراراً كبيرة عامة . لا سيما فى أعضاء حيوية خاصة كالكبد والكلى والقلب والدماغ فتسبب اضطرابات عصبية شديدة كالرعاش والهذيان والجنون - و٣١ ٪ من حالات الجنون فى الرجال يرجع مصدرها إلى الادمان على المسكرات . وهنا يورد الوالد أو المدرس أمثلة عن مدمنى الخمر من معارفه وجيرانه وما جلبه تعاطى الخمر من الاضرار المادية والأدبية على هؤلاء . والافضل ان يتحين الأب فرصة مناسبة ويأخذ ابنه ويريه رأى العين سكيراً يعربد فى الشوارع وقد زالت كرامته وانحط مركزه وشرفه وهو يتمايل يمينا وشمالا ويتفوه بالفاظ متنافـــرة ويأتى بحركات شائنه تثير سخرية المارة ونفورهم منه . فبهذا المنظر يرسخ فى ذهن الفتى تأثير السكر المشين الفاضح ويصبح أكبر عبرة له فى المستقبل . ان السكير لا يورث الداء لنسله غير ان الادمان على الخمر يؤثر على الجهاز التناسلى فيسمم الخلايا والحيوانات الملقحة وهذا بدوره يؤثر كثيراً على النسل ، فيسبب البلاهة ونقص فى القوى العقلية وتشنجات عصبيه وضعف فى التركيب .

وارتفاع فى نسبة الوفيات المبكرة فى النسل . مثلها كمثل البذور الضعيفة لاتعطى إلا إنتاجا ضعيفا فاسداً

والتدخين مضر جداً للأحداث فهو يوقف نمو الجسم الطبيعى ويجعله دميما قزماً وهو يؤثر على القوى العقلية وعلى الجهاز التناسلى أيضاً عـدا عن أنه يسبب تسوس الأسنان وتفتتها والتهاب الحنجرة المزمن وتزلات شعبية مزمنة تؤدى إلى ضيق التنفس ثم يليه فقد الشهية للطعام فيسوء الهضم ويقل امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء وهذا يؤدى إلى ضعف عام وهزال وفقر دم كما انه يؤثر خاصة على القلب فيسبب تقطعاً فى ضرباته وعلى الأعصـاب فيسبب أرقاً وارتعاشاً وضعفاً فى النظر الخ .

هذا قليـل من بعض مستلزمات حفظ الصحة ولكن لاعداد الفتى لا كتساب جسم قوى سليم يجب تقوية الميل فيه منذ صغره إلى الالعاب الرياضية على اختلاف انواعها : طبيعية كانت كالمشى والركض والقفز الخ أو اصطناعية بأجهزة خاصة كالدمبيل Halteres والمتوازيين والارجوحة Trapeze وما شاكلها أو المشـــتركة كالسباحة والزحلقة والمبارزة والتجذيف وركـوب الخيل أو الدراجة ولعب التنس أو الكرة والصيد الخ .

وأحسنها وأفيدها ما كان معتدلا . أما إذا كانت عنيفـة سريعة وطويلة حتى تسبب اجهاداً وضيق تنفس وعناءاً محسوساً فهى والحالة هذه تؤدى حتما إلى إضعاف الجسم وإيذائه بدلا من تقويته وتكميله . فلكى تأتى الرياضة البدنية بالفائدة المنشودة يجب ان تكون معتدلة ومنتظمة

ومنسقة حتى تزيد فى سرعة الدورة الدموية فيزداد تبعاً لذلك الاوكسيجين والغذاء الذى يصل إلى الأنسجة وبذلك تقوى أعضاء التنفس فيتسع الصدر وتعرض الأكتاف فتقوى العضلات وتشتد الأعصاب وتكبر العظام والاطراف . وباحتراق المواد الشحمية فى الجسم يسهل التخلص من البدانة والسمنة المفرطة ، فيشب الفتى نشيطاً رشيقاً مفتول العضلات صافى الدم نضر الوجه شجاعاً متفوقاً كامل الرجولة منذ طفولته . وبما أن الرياضة البدنية على اختلاف أنواعها تزيد النشاط وتحسن التغذية فى كل الأجهزة فى الجسم فهى لذلك تزيد قوة الدفاع والمقاومة فى الفتى ضد كل الأمراض والطوارىء فلذا يجب بذل كل جهد فى سبيل ترغيب الفتى فيها منذ طفولته إذ أن طبيعته وقتئذ هى أشد ما تكون ميلا إلى اللهو والألعاب الرياضية عامة غير أنه بعد وقت يرى نفسه وهو فى المدرسة قد مال بالأخص إلى نوع واحد أو أكثر من هذه وفضلها على غيرها ولا يبعد علاوة على هـــذه أن يكون قد أولع باحدى الفنون الجميلة كالتصوير أو النقش أوالنجارة أو الموسيقى الخ ، فيجب عندئذ تقوية هذا الميل فى الفتى وتشجيعه عليه لإشغال كل أوقات فراغه فتصبح له هواية تصير بعـــد وقت قصير تسليته الوحيدة يلجأ اليها فتبيد همومه وتزيل أحزانه وتصرف نظره عن تفكيره فيما يضره وتقيه شر ميوله ونزعاته الفطرية إلى الملاهى والموبقات وسواها ـ وبذا تصبح عونه الوحيد فى المستقبل ضد الطوارىء والتجارب والرذائل المقبلة .

فالألعاب الرياضية إذن لها أعظم تأثير فى تعديل الفتى بل فى تكوينه

خلقاً وخُلقاً فلذلك لها النصيب الأكبر فى مصيره ومستقبله على شرط أن تكون كما ذكرت منتظمة ومنسقة ومعتدلة مصحوبة بالراحة الكافية للجسم لتجديد نشاطه إذ أن من مستلزمات حفظ الصحة إعطاء الجسم كله راحته الضرورية بواسطة النوم فهو معيد القوى ومجدد النشاط . ومتوسطه ٨ ساعات فى اليوم و ١٠ — ١٢ للأحداث مع ملاحظة تجنب التعود على السهر ليلا . فالنوم باكراً والصحو باكراً أفيد للصحة فى غرفة مهوية تدخلها الشمس مع شباك مفتوح وإن لم يتيسر ذلك فيلزم تهوية غرفة النوم طول النهار . وان عدم إعطاء الجسم كفايته من النوم يضر الفتى ويؤذيه كعدم الأكل وقلة التغذية .

وكما يجب تقوية الجسم بالرياضة والأطعمة المغذية كذلك يجب تقوية العقل بالحث على مطالعة الكتب الأدبية المفيدة . فكما أن الفم هو مدخل الجهاز الهضمى فالحواس الخمس هى مدخل الدماغ وإذ كان الأب لا يسمح بدخول طعام سيء إلى جوف ابنه فكذلك يجب عليه ألا يسمح بدخول أقذار إلى دماغه سواء كان بقراءة مجلات مبتذلة أو كتب مخلة بالآداب أو سماع أحاديث بذيئة أو بمشاهدة صور منافية للآداب كما يجب نصحه بالابتعاد عن الخلان الفاسدين ومعاشرة الأشرار الساقطين وتجنب المجتمعات الفاسدة ودور الملاهى الخليعة الساقطة ومن هذا ننتقل إلى الشريط التالى .

الشريط الثالث علم وظائف أعضاء الجسم : وظيفة الأعضاء التناسلية فى الإنسان : الغرض الأسمى منها : التناسل وإنتاج الذرية .

ينحصر هذا الشريط فى وصف وظائف بعض أعضاء الجسم فالعين

عضو النظر والأذن عضو السمع والفم والمعدة والأمعاء جميعها تؤلف الجهاز الهضمى وكذلك الكلى والمثانة ومجرى البول تؤلف الجهاز البولى لكن عضو التناسل يشغل وظيفتين فى وقت واحد فهو الجزء الأسفل من الجهاز البولى ومن طرفه يخرج البول وفيه السموم والفضلات التى يقتضى أن يتخلص منها الجسم وهو أيضاً جزء من الجهاز التناسلى فى الرجل . بقية الأجزاء بعضها داخل الجسم كالبروستاتة والحويصلات المنوية والبعض الآخر خارجه كالخصيتين — والأخيرتين هما أهم جزء فى الجهاز التناسلى فى الرجل فهما تقومان بافراز الحيوانات المنوية الدقيقة التى تلقح البويضة فى المرأة فهى تعادل مادة اللقاح Pollen فى النبات

خلق الله سبحانه وتعالى العضو التناسلى لأسمى وأقدس الغايات — لإتمام عملية التناسل وإنتاج الذرية — لتخليد ونشر الجنس البشرى . ولولا هذه الغاية لانقرض كل مخلوق فى الوجود ، وهنا يذكر الوالد أو المربى أمثلة من معارفه أو جيرانه انقرضت ذريتهم واندثرت أسرهم أو أوشكت لأنهم لم يتركوا ولداً يخلد اسمهم من بعدهم ، ولأهمية هذا الشريط وتأثيره فى سبيل التهذيب الجنسى المنشود وليرسخ فى ذهن الفتى نبل الغاية المقصودة من الجهاز التناسلى تعاد هنا على مسامع الفتى — وفى الإعادة إفادة — كيفية تخليد قدرة التناسل والإنتاج فى جميع الكائنات ، من نبات وطيور وحيوانات ثم مشابهة ظواهرها وقواها فى تلك الكائنات لمثيلاتها فى الجنس البشرى

والجهاز التناسلى فى الرجل يختلف عنه فى المرأة ، كما أنهما أيضاً يختلفان شكلا وقالباً . هذه خلقها سبحانه وتعالى لطيفة رشيقة وضعيفه

تابعة للرجل وهـذا خلقه خشناً مستقلا قوياً ليحمى المرأة ويدفع عنها الأخطار الجسمانية الخارجية والداخلية ومنح كل منهما القدرة الخالدة للتناسل كما وهب سائر المخلوقات من نبات وطيور وأسماك وحيوانات هذه القدرة الابقاء على نوعها حتى لاينعدم من الوجود ، بيد أنه سبحانه وتعالى تجلت مشيئته وسمت إرادته جعل هذه القدرة الخالدة مشتركة بين الذكر والأنثى فى جميع الكائنات فلا يمكن لأى منهما وحـده أن ينقل القدرة المودعة فيه لتخليد الحياة الى النسل بمفرده . هذه هى سنّة التناسل فى جميع المخلوقات . والإنسان وهو أرقى وأشرف المخلوقات تابع طبعاً لهذه السنة فلا الرجل يستطيع التناسل والإنتاج بدون المرأة ولا المرأة ترزق البنين بدون الرجل فلذلك يقتضى أولا اتحادهما شرعياً وثم تزاوجهما وتضامن قدرتيهما التناسلية لتنفيذ ذلك ، وعند تزاوجهما واختلاطهما الجنسى يهب الرجل للمرأة الحيوانات المنوية الدقيقـــة التى تفرزها الخصيتان فى الرجل وهذه تقابل بعد وقت ما البويضة الموجودة فى المرأة ـ والأخيرة وهى نطفة دقيقة صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة وإنما بالمجهر المكبر يفرزها المبيضان فى المرأة (وهاذان يعادلان الخصيتين فى الرجل) وتبقى لفترة معينـة فى الرحم أى العش الخاص الذى خلقه سبحانه وتعالى فى الأناث لينمو داخله الجنين بدلا من العش على الشجرة . تستقبل البويضة الحيوانات المنوية المبعوثة من الرجل بالألوف والملايين ولـكن لاينال الحظوة الـكبرى فى عينيها فى أغلب الأحوال سوى حيوان منوى واحد يفوز باختراق غشاء البويضة ويدخلها منتصراً ملقحاً ، لإتمام عملية التناسل . وهو بعمله هذا يشبه تلقيح الخيوط الحريرية فى عود الذرة بغبار الزهر التناسلى أو تلقيـح شجرة النخل الأنثى بكوز الطلع الذكر

ونتيجة ذلك كما يعلم الفتى هو إنتاج حبوب الذرة فى الأولى وتمر البلح فى الثانى . كذلك البويضة بعد تلقيحها تتضخم شيئاً فشيئاً وتبدأ فى الانقسام وتكوين الخلايا ومن هذه يتكون جسم الجنين داخل الرحم فى بطن أمه وهذا يشبه الحبة فى النباتات والبيضة فى الطيور . ينمو الجنين هناك ويكبر رويداً رويداً تغذيه أمه من دمها مدة تسعة أشهر فى غضونها يتم نموه داخل الرحم وإذ يصبح قابلا للولادة ينفتح باب ذلك العش الخاص أى الرحم بعناء وآلام شديدة للأم ويخرج الجنين الى الوجود فيولد صورة طبق الأصل لأبويه لأنه جزء منهما وتكون من عناصرهما على السواء ونبت من جوهرهما وتغذى من دمهما فلا عجب إذا شابههما شكلا وخلقاً . وكما كانت تغذيه أمه من دمها وهو داخل رحمها فهى كذلك تعتنى به خارجه وتسهر عليه ليل نهار وتغذيه أيضاً من جسمها فترضعه من ثديها بلبن خاص لا يفرزه الثديان فى صدر الأم إلا بعد الولادة لهذا الغرض فقط ، وبهذه الطريقة تغذيه أمه مدة سنة أو أكثر أو أقل ثم تفطمه حين ظهور أسنانه وقدرته على مضغ وهضم مواد غذائية أخرى .

فإن كان الأبوان فى صحة جيدة فانهما دون شك يورثانها لنسلهما والعكس بالعكس كالبذور الجيدة لابد أن تنتج محصولا جيداً فلذا وجب أن يظل الأبوان فى صحة تامة ليخلفا أطفالا أصحاء أقوياء . وفى سبيل ذلك وجب على الشاب أن يحافظ على صحته منذ صغره فكل ما من شأنه أن يخل بصحته فى صباه - فى طفولته أو فى حداثته - لا بد ان يؤثر عليه فى كبره ومن ثم فى نسله ، بذا يدرك الفتى مسئوليته الاجتماعية ومسئوليته المقبلة أمام زوجته وعياله . وبهذه الطريقة وقد تعرف إلى كيفية الإنتاج

فى جميع الكائنات من أصغرها أو أحقرها إلى أكبرها وأرقاها ومنها إلى الجنس البشرى يدرك سر التناسل بل سر الحياة العجيب الكامن فى جهازه التناسلى الذى جعل لأسمى وأقدس الغايات . ومنها يتعلم على اعتبار العضو التناسلى كعضو طاهر يجب حفظه سليما طاهراً ليتمكن من تنفيذ مشيئة المولى على أحسن وجه بعد بلوغه وإدراكه التام ، ومن هذا ننتقل الى الشريط التالى

الشريط الرابع — دور البلوغ — أعراضه وأخطاره

إن هذا الشريط إنما هو وصف صور التغييرات المتنوعة التى تطرأ على المراهق فى هذا الدور سيما بين سن ١٤-١٧ سنة مع أن دور البلوغ لا يتم قبل سن ٢١ وهو ما يسميه الألمان دور الثورة والزوبعة نظراً للاضطرابات والانفعالات التى تتأجج نيرانها فى جسم الفتى وتنفجر منه فى هذه المرحلة من حياته ، وهى أعقد مراحل النمو الجسمانى .

قد تطرأ هذه التغييرات مبكرة قبل هذا السن أو متأخرة بعده باختلاف المناخ والشعوب والأحوال الشخصية . ففى المناطق الحارة والشعوب الملونة تظهر مبكرة بعكسها فى المناطق الباردة . معادلة هذا الدور لأول تزهير النبات أو الشجر . محادثات عن التغييرات المنتظرة فى الفتى فى هذا الدور — وهذه على أربعة : شكلية . جسمانية . نفسانية وفسيولوجية .

(١) شكلية ظاهرية : حوالى سن ١٤ إن لم يكن قبله يبدأ نبت شعر العانة بحلقات صغيرة حول جذر العضو التناسلى يعقبه ظهور شعر الأبط الذى يظهر عادة متأخراً سنة بعد شعر العانة . ثم فى سن ١٥ يتبدل الصوت

فيفقد رنته الصبيانية فيقوى ويغلظ وفى سن ١٦ - ١٧ تنبت الشوارب وشعر العارضين والذقن ويخشوشن الجلد .

(٢) جسمانية : ازدياد فى الجسامة لغاية سن ١٦ وبعدئذ يقف نمو القامة عند حد ما وينحصر النمو فى الصدر فيتسع وتعرض الأكتاف وتقوى العضلات والعظام وتزداد الجرأة والشدة فى الفتى . يعترى العضو التناسلى والخصيتين نمو سريع وازدياد فى الحجم يبلغ أشده فى سن ١٧ فتبلغ حجمها النهائى المقرر وبذا يتأيد بلوغ ونضوج الأعضاء التناسلية ما يجعل الشاب قادراً على التناسل والإنتاج ولكنه لا يتم حد الكمال التناسلي إلا حوالى سن ٢٥ .

(٣) تغييرات نفسانية : يصبح الفتى خجولا مضطرباً ، عصبياً نزقاً ، عقوقاً وعنيداً ، بينما كان لوقت قريب هادئاً مستكناً وديعاً ، ينتابه شعور جديد لايعرف كنهه وتشوقات غريبة لا يقدر على تفسيرها وادراكها . فالعاطفة الجنسية تتأيد فيه وتتمكن منه وقتئذ فتسبب له قلقاً واضطراباً داخلياً وتدوم هذه التغييرات النفسانية لسن ٢١ ولكن كلما قرب الفتى من سن العشرين كلما خفت الثورة فيه وقربت الزوبعة أن تتلاشى فاذا أخذ بيد الفتى فى هذه المرحلة الخطرة الشاقة وأبعد عن الخطيئة ومنع من الوقوع فى الرذيلة لحين افول الزوبعة فمستقبله اصبح دون شك باهراً ثابتاً ومضموناً . ولكن إذا ترك لنفسه فى دياجى الظلام والجهل وكان ذا إرادة ضعيفة او تحت تأثير الخلان الفاسدين فلا بد من وقوعه فى الخطيئة وسقوطه فى حمأة الرذيلة ، فحياته والحالة هذه تصبح دون ريب سلسلة شهوات وآثام ، أخطار وأمراض ، وفشل وشقاء .

تغييرات فسيولوجية : الاحتلام الليلى أو الاستمناء . يحدث عادة ١٨ شهرا أو سنتين على الأكثر بعد أول ظهور شعر العانة أى ما بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة . وهو أوضح شاهد على نمو وتضخم أعضاء التناسل الظاهرة . على أن هذه الأعضاء لا تبلغ حجمها النهائى إلا بعد ردح من الوقت . والاحتلام الليلى الأول يدل أكيداً على وصول الفتى إلى سن البلوغ . غير ان هذا ليس معناه أن البالغ أصبح وقتئذ يتمتع تمتعاً حقيقياً بالوظيفة التناسلية على وجهها الصحيح . إذ هو لا يستطيع القيام بمستلزمات الزواج إلا بعد انقضاء سنتين على تمتعه بالوظيفة التناسلية أى فى الثامنة عشرة Gaston ولذلك لا تصرح الشريعة للشاب بالزواج قبل هذا السن .

والاحتلام الليلى إنما هو حادث طبيعى فسيولوجى تقوم الطبيعة بتأديته كل أسبوعين أو ثلاثة أو أكثر أو أقل تخفيفاً لضغط السائل المنوى المتجمع فى الحويصلتين المنويتين . ينبه المراهق إلى قرب ظهور هذا الحادث الطبيعى وشرح مغزاه وتحذيره من تهييج الأعضاء التناسلية بقصد تحريكه واستجلابه ليلا أو نهاراً بالطرق الغير طبيعية بايجاد او إثارة احتكاك فخذيه على بعضهما أواحتكاك جسمه على الفراش أو باستعمال يديه (جلد عميرة) وغيرها من الوسائط الاصطناعية ثم تسلط هذه عليه فتصبح لديه عادة سيئة .

العادة السرية — أضرارها وعواقبها : أدبياً . عصبياً . وجسمانياً .

العواقب الأدبية : يتهرب المراهق من معاشرة الناس ويسعى إلى الوحدة لكون ضميره يؤنبه فيشعر كأنه مذنب . وبعد أن كان مرحاً

حريحاً ، حاذقاً ومطيعاً يصبح نزقاً كتوماً ، بايداً وغضوباً ، يفقد إيمانه وثقته بنفسه ويفقد قوة إرادته فيصبح عبداً أسيراً لهذه العادة ، ويعجز عن استجماع قواه الفكرية ، وتخونه ذاكرته فيفقد تدريجيا مكانته السابقة فى مدرسته وخارجها فبعد أن كان ناجحاً متفوقاً يصبح خاملا متأخراً .

العواقب العصبية : بما أن الجهاز التناسلى حائز على مجموعة دقيقة كبيرة من الأعصاب فاستعمال العادة السرية يرج هذه بشدة فيحدث فيها أضراراً خطيرة . فاللذة القصيرة المنشودة تنتهى بتقلصات وتشنجات عضلية تترك وراءها الأعصاب خائرة مشتتة كما لو أصاب الجسم كله هزة أو صدمة شديدة عنيفة والأخيرة تؤثر دون شك على الجهاز العصبي العام ومن ثم على سائر الجسم ومع تكرار هذه الصدمات واستمرارها يصبح كل الجهاز العصبي مزعزعاً محطماً ، فتهبط القوى العقلية وتخور بشدة ، وكثيراً ما تؤدى إلى البلاهة والجنون

العواقب الجسمانية : مع التغييرات السابقة تضعف الصحة شيئاً فشيئا فتفقد العيون لمعانها وبريقها - عيون غائرة محاطة بهالة زرقاء - ويصبح الجلد قاتماً شاحب اللون والعضلات مترهلة . يعترى الفتى استرخاء عام فأقل مجهود يتعبه ويضنيه ويسبب له فتوراً عاماً فيصبح العمل أو الدرس لديه مكروهاً ثقيلا . يشكو من ألم فى الظهر ومن صداع مستمر ودوخة مع خفقان فى القلب . ويسوء الهضم وتقل القابلية للطعام فتسوء تبعاً لذلك الصحة العامة . يمشى الفتى منحنى القامة ويجلس محدوداً والصدر مجوفاً . وبدلاً من أن يزداد الفتى فى نموه ويترعرع كسائر الفتيان الأصحاء الأسوياء يصبح بالعكس ضعيفاً هزيلا فيصاب بداء السل أو قد

يعتريه أى مرض آخر لا قبل له على مقاومته فيقضى عليـــه وهو فى ريعان الصبا .

فمن أوجب الضروريات إذن تحذير الأحداث فى الوقت المناسب من مضار هذه العادات وعواقبها الخطيرة المهلكة . والجرم الأكبر إنما هو الزعم الباطل بالتخوف من مفاتحة الأحداث بأضرار هذه العادات السرية وتفضيل تركهم لشأنهم جهلاء عرضة للوقوع فريسة لها خاضعين بذلك لطبيعتهم البشرية وفطرتهم التناسلية منقادين لتقليد خلانهم وزملائهم المصابين بهذه العادات وأمثالها . فمنعاً لذلك يجب وقايتهم شر هذه المساوىء بتحذيرهم منها وتنوير أذهانهم عن مضارها المهلكة وحثهم على تسليم أنفسهم للطبيعة فهى وحدها تتوكل بتفريغ الزائد فى أجسامهم بواسطة الاحتلام الليلى ولا ضرورة مطلقاً للالتجاء لأجل ذلك إلى أية واسطة أخرى أو عادة ما سواء كانت سرية شاذة أو طبيعية دارجة إذ إن تركيب أعضاء التناسل يختلف عن ما هو فى الأعضاء الأخرى فقد وُجدت لكى تقوم بوظيفتها فى فترات متقطعة وقد تتوقف عن عملها توقفاً لا حد له دون أن ينالها ضرر ما ، فى بنائها أو فى قيامها بوظائفها Hunter وقد أجمع الاخصائيون فى التناسليات أن العفاف أو الامتناع التام لا ضرر منه مطلقاً فى البالغين حتى أن فريق المعارضين فى الامتناع أمثال بلوخ وارب Bloch & Erb لم يسعهم إلا التسليم بضرورة الامتناع التام لغاية سن ٢٥ أى بعد اكتمال النمو العقلى والجسمانى وهذا لا يتم إلا ٣-٥ سنين بعد اكتمال النمو الجنسى كما وأنهم لا ينكرون على إن العلاقات الجنسية ليست قط من المستلزمات لنمو الجسم ولا لتكوين شخصية المرء حتى أن لوفنفلد Löwefenld فى أبحاثه عن تأثير الامتناع على الجسم يعترف بأنه يندر أن تحدث

متاعب تذكر فى الشبان تحت سن ٢٤ كما وأنه وجد أن المتاعب التى قد تعترى الشبان سيما العصبيين منهم فى سن ٢٤ - ٣٦ سنة لا تصل مطلقاً لدرجة أن تحتم إرضاء الدافع الجنسى بطرق غير صحية وغير شرعية وارب Erb نفسه يسلم معه بأن هذه المتاعب أو الأضرار البسيطة لا تذكر أمام الأضرار الزهرية الخطيرة ومن هذا ننتقل إلى الشريط التالى

الشريط الخامس : التجارب الجنسية وأخطارها - الأمراض الزهرية

يبدأ هذا الشريط بمحادثات ودية عن ما يعترض الفتى فى طريقه فى كل لحظة وعن ما قد يتجه إليه نظره وفكره يوما من الأيام . تحذيره بلطف ولباقة من الشبان الفاسدين ومن النساء الغاويات اللواتى لا بد له من مقابلتهن يوماً ما وتنبيهه إلى الأضرار الأدبيـــة من معاشرتهن ثم انذاره بالأخطار الجسمانية من العلاقات الغير شريفة والغير شرعية - ألا وهى العدوى بالأمراض الزهرية . ايضاح كثرة انتشارها بين مختلف الأوساط وشرح طرق العدوى المتعددة لاجتنابها واتقائها ثم وصف أعراضها وتبيان أخطارها للفرد وللمجموع وللنسل . وهنا مع تنويره واطلاعه على خطورتها يتحاشى المربى ذكر ما من شأنه أن يشتم منه الفتى أنها أمراض معيبة تحتاج إلى التكتم أو التستر بل بالعكس يتوخى اقناعه بضرورة اعتبارها كسائر الأمراض المعدية التى تتطلب الاسراع فى مباشرة العلاج حتى أنه لو فرض والتقط الشاب العدوى فى أى وقت وبأى وجه ما فهو إن لم يكاشف أباه بأمره فهو على الأقل لن يتأخر فى الاسراع إلى الطبيب لمعالجتها خوفاً من أخطار عواقبها . وعند ذكر هذه الأمراض يصطحب الأب ابنه والمعلم تلميذه لزيارة أحد المتاحف الصحية

للأمراض السرية حيث يشاهد الفتى بعينى رأسه صوراً ناطقة لأعراضها الوخيمة وأخطارها الوبيلة فتنطبع فى ذهنه بصورة مخيفة مؤثرة فيخشى مصدرها وينفر من مروجاتها . ولا ريب أن هذه المشاهدات هى أنجع وأقوى وسيلة لارهاب الفتى وهو فى بدء حياته التناسلية وتخويفه من المغامرات الجنسية بقصد التأثير عليه بالابتعاد عن هذه المخاطر وتنفيره منها واقناعه بأفضلية الامتناع والتعود عليه ومن ثم نشوء العفة فيه من جراء الروع والمخافة ان لم يكن نتيجة طبيعة حميدة فيه وتم تملكها فيه تدريجياً سيما إذا استعين فى سبيل ذلك باشغال كل أوقات فراغه بأية وسيلة بالألعاب الرياضية وماشاكلها وتقوية دعائم الفضيلة والصلاح فى روح الفتى فى أحرج مرحلة من حياته - مرحلة طافحة بالاضطرابات النفسانية والأخطار الأدبية والمغامرات الجنسية - وارشاده والأخذ بيده لاجتياز هذه المرحلة بسلام وأمان ودخوله فى دور الرجولة شريفاً عفيفاً طاهراً .

الخلاصة : تلقى هذه الأشرطة الخمس فى خلال ٤ - ٥ سنوات أو أكثر أو أقل حسب نمو الصبى واستعداده الفكرى والجسمانى . كل شريط وهو مؤلف من سلسلة مشاهد أو محادثات تجزأ على عدة فصول تعطى مدار السنة وكل سنة يعاد على مسامع الصبى ما قد تعلمه فى السنة السابقة لترسخ فى ذهنه وتغرس فى مخيلته وأيضاً تمهيداً وإعداداً لادراك ما سيلقى عليه من المواضيع القادمة

يجب أن يحتل هذا التهذيب نصيباً وافراً من وقت الآباء والمدرسين - وعلى الآباء أن يتولوا هذه المسئولية بقدر استطاعتهم ومعلوماتهم ولكن بأسلوب لطيف ، بصيغة محادثات ودية أنيسة وأدبية يشرع فيها حينما

يبدأ الصبي وهو في البيت بالقاء أسئلة فضولية بريئة عن ما يشاهده كل يوم . ويجب أن تكون أجوبة الآباء صريحة سلسة بايضاحات محتشمة طاهرة ، وإرشادات واضحة مفهومة تحول الأسرار الغامضة إلى مسائل بسيطة طبيعية وتكسب ثقة الابن وتخمد فضوله ، بدلا من أن تكون مخاتلة توقظ الفضول وتثير الريب والشك فيه ـ على المدرسين أيضاً أن يتولوا نصيبهم من هذه المسئولية ويتمموا هذا التهذيب بادخال التهذيب الجنسي في برنامج التعليم العمومي ٧٥ ٪ من المدارس الأصولية في انجلترا تشمل الآن في برنامج تعليمها القواعد العلمية لعلم الصحة الاجتماعية . وفي السويد قانون يحتم درس علم الصحة الاجتماعية والجنسية ضمن برنامج تعليمها وكذلك في فرنسا والولايات المتحدة حيث يحتل هذا التهذيب جزءاً من برنامج التعليم فيتعلم الأحداث جميع هذه المبادىء على أساس علمي مطول بواسطة أطباء اختصاصيين . فلذلك واتباعاً للتطور الحديث الجاري الآن في أوروبا لمعالجة المسائل الجنسية التي ما زلنا نعتبرها في الشرق معيبة رغما عن كونها حيوية وضرورية لتسليح الفتى بسلاح العلم والصلاح عند دخوله في حياته التناسلية أرى الأفضل ادخال تعليم جديد في برنامج التعليم في مدارسنا تحت اسم علم حفظ الصحة الفردي Hygiène Individuelle في المدارس الابتدائية يتولاه بوجه أفضل الطبيب الملحق بالمدرسة وفي المدارس الثانوية تحت اسم علم حفظ الصحة الجنسي Hygiène Sexuelle يتولاه الطبيب الاختصاصي

بهذا التعليم يتعاون الآباء والمدرسون وبمجهودهم المشترك يشب الفتى ولا شك على مبادىء العلم والفضيلة ، صالحاً قوي الارادة ، على علم تام بالمسائل الجنسية ، وقد تعلم تدريجياً على اعتبارها كسائر المسائل البسيطة

الطبيعية ، وقد نشأ على احترام الاختلاط الجنسى كأمر طاهر يخشى الاقدام عليه قبل زواجه المقدس كما تعلم على احتقار الفسق والعاهرات ـ مواخير العدوى من امراض خطيرة ـ ينظر اليها كل ساعة كأمور فاسدة مرعبة يشمئز وينفر منها ويرهب اخطارها ونتائجها الوبيلة فيضحى كل وقته فى سبيل إتمام علمه واستكمال دراسته وثم اشتغاله بكسب عيشه وضمان مستقبله وينظر إلى الزواج كأمر مقدس هو مقصد آماله ـ كما ينتظر أن يتزوج يوماً ما بفتاة نقية طاهرة وان لم تكن بهذه الصفات الحميدة فهو ينبذها نبذ النواة فيشعر أن الواجب عليه والحالة هذه أن يبقى كذلك سليما طاهراً إلى ان يلقى تلك التى ينشدها لتشاركه فى حياته الزوجية فيقابلها يومئذ بقلب واسع وجسم نقى وضمير طاهر .

دروس بل محادثات كهذه يلقيها الآباء تدريجياً وبلطف على آذان أولادهم والمدرسون أو الأطباء على آذان أبنائهم فى المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية والصناعية والمعاهد العلمية ، والمدربون فى الأندية الرياضية بل فى سائر الأندية الاجتماعيـــة دون أن تصدم حياءهم الحساس ودون أن توقظ فيهم أفكاراً سيئة إنما تؤدى حتما إلى نشء جيل جديد مستقيم من الشبان تفتحت عيونهم إلى ما فى هذا العالم من مساوىء وشرور وتنبهوا إلى ما فى هذه الحياة من سيئات وآثام فادركوا الأخطار الأدبية والخلقية وذعروا من أخطار الأمراض الزهرية . ونفروا واشمأزوا من مصادرها فأصبحوا مسئولين عن أفعالهم متحكمين فى غريزتهم . وإننى لموقن تماماً أن هذا الجيل الحديث من الشبان سيكون أكبر عوناً ونصيراً فى تحقيق القضاء على الأخطار التناسلية والزهرية ، إذ بمعرفتهم هذه الأضرار والأخطار التى يتعرضون لها أنفسهم وغيرهم ممن

هم على جهل بها والتى لا بد سيتعرض لها أطفالهم من بعدهم فى المستقبل لا يتخذون الاحتياطات الشديدة لا تقائها ومقاومتها فحسب ، بل يحتجون ويطالبون باتخاذ وسائل عمرانية قوية لوقاية المجتمع ـ وعندئذ بعد تعميم التهذيب الجنسى بعد بضع سنين وإثماره — أى بعد تبديد غيوم الجهل فى المسائل والأخطار التناسلية وتسليح الشبان رجال الغد بسلاح العلم والنور والصلاح — عندئذ يتسنى لأولى الأمر القضاء على البغاء وإقفال منازل الفسق وحصر العاهرات فى الملاجىء دون أى خوف من أن يجر ذلك إلى جرائم سرية فى العائلات الشريفة .

وبديهى أن التهذيب الجنسى لن يؤدى فى أوائل عهده كل الفائدة المنشودة منه إلا أنه لا شك له فوائد جمة وميزات كبرى لا يمكن بأى وجه تجاهلها . فهو على الأقل يهذب عقلية الأحداث ويزيل غشاء الجهل بالمسائل الجنسية عن أبصارهم وهو تبعاً لذلك يحذر الشبان من المخاطرات التى يعرضهم لها جهلهم وطيشهم فى حداثتهم ودون شك يرشدهم إلى ضرورة الاستشارة والمعالجة الفنية اذا فرض ووقعوا فى هذه الأخطار خشية انتشارها وخوفاً من عواقبها الرهيبة .

انى أسلم بأن طرق الوقاية هذه يقتضى لها بعض العناء والمال ولكنها ناجعة فعالة . فليس العناء ولا المال ولا الصعوبات عذراً كافياً للكف عن الجهاد ضد الاخطار الرهيبة التى تهدد الشبان وتقضى عليهم فى مراحل حياتهم المختلفة . فبوقاية أحداث اليوم وهم لا شك رجال المستقبل تنتج دون ريب أمة قوية ذات نسل سليم . وبصحة الأفراد وقوتها تحيا الأمة وتعلو الى أوج التقدم والكمال .